بداية التأثير الاسلامـــى
في الأدب التركـــى
دراسة في أول منظومة تركيـــــة
«قوتا دغو بيلليك»

بقلـــم

الدكتور / فتحى عبد المعطى النكـــلاوي

بداية دخول الترك في دائرة الحضارة الاسلاميـــة :

يرى المؤرخون أن اللقاء الاول بين العرب والترك كان في سنة ٦٤٢ م كنتيجة مباشرة لهزيمة « يزدجرد الثالث » آخر الحكام الايرانيين فـــي « طخارستان » (١) .

ثم توطدت العلاقة بين هذين الشعبين فيما بعد ، وكان سقوط خراسان في أيدى العرب في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه يشكل بداية انتشارهم في قلب أسيا الوسطى التي يسكنها الأتراك .

ولقد انتهت الحروب التي استمرت زهاء خمسين سنة بين هذين القومين اللذين لايعرف كل منهما الآخر واللذان كانا – تقريبا – على نفس المستوى من الناحية الثقافية ، انتهت بانتصار العرب رغم المقاومة الشديدة التي أبداها الاتراك في هذه الحروب ، ونتيجة لذلك فان قسما هاما من آسيا الوسطى التي يسكنها الأتراك قد دخل في حوزة الخلافة الأموية وضمن حدودها .

ومن الطبيعي أن نفوذ الحضارة الصينية في هذه الرقعة التي ألحقت – حديثا – بحدود الدولة الاسلامية ، بدأ في التقلص ليحل محله نفوذ الدين والحضارة الاسلاميتين . ومنذ ذلك التاريخ بدأ الأتراك يشعرون تدريجيا بتأثير الحضارة الاسلامية الجديـدة .

ولقد كان الهدف الذى سعى اليه العرب من فتوحاتهم في آسيا الوسطى – الوسطى – إلى جانب نشر الاسلام هناك – هو توسيع دائرة النفوذ الاسلامي من الناحيتين الاقتصادية والسياسية . ومن هذه الوجهة فان آفاقا جديدة تماما قد تفتحت بهذه الفتوحـات .

---

(1) H A R Gibb orta Asya da Arap Futuhati, Turkiyat Enstutusu yayinlarindan ist, 19,30, S 14

هذا ، ولقد كان انتساب هذه الرقعة – التي يشكل الترك غالبية سكانها – إلى الاسلام سهلا للغاية من الناحية الشكلية ، وكان ذلك مطلوبا في بادىء الامر ، إلا أنه بالنسبة للجيل الثاني فقد ارتبط بالاسلام ارتباط عميقا ، ووقف كذلك مدافعا عنه ضد الهجمات الخارجية ولم يكن أبدا انخراطه إلى الجامعة الاسلامية شكليا كما كان الحال بالنسبة للجيل الاول (٢) .

ولقد كان الاستيلاء على المراكز التركية وضمها الى الرقعة الاسلاميـــة ثم توطين العناصر الاسلامية فيها – كان عملا مناسبا – اذ بدأ تدفق التجار والموظفين والعلماء ورجال الدين المسلمين وغيرهم على تلك المراكز الاسلامية المؤسسة حديثا في الاراضي التركية . وكان من نتيجة ذلك أن الاتراك بتأثير هذه العناصر الاسلامية التي تلاحمت جميعها بالاقوام التركية ، أصبحوا مضطرين للتعود على الدين والحضارة الاسلاميتين الجديدتين .

هذا ومع أنه من غير المعروف بصورة جلية على أى نحو وبأى سرعة كان الاتجاه نحو حضارة الدين الجديد المراد تأسيسها ، فانه بالنظر إلى عبارة محمود القاشغرى – صاحب ديوان لغات الترك – القائلة بأن الأتراك قد نسوا أسماء شهورهم وأسابيعهم في القرن الحادى عشر (٣) ، واستعملوا بدلا منها الأسماء العربية يتضح لنا – وفقا لهذا – أن الأتراك – منذ الحملة الأولى – قد بدأوا ينسون ماضيهم مع قبولهم الاسلام .

أما « جعفر اوغلى » فيقول أنه ليس ثمة ادعاء على هذا النحو لأن الحركات الاسلامية بوجه عام لاهى انقصت من القدرة العسكرية لدى الاتراك ، ولاهى

---

(2) A Caferoglu Turk dili ta!ihi, Ist, 1964 S 6-7

(٣) جا في الترجمة التركية لديوان لغات الترك التي أعدها « بسيم آتالا ى .... » لم يكن هناك أسما لأيام الأسبوع السبعة عند الترك ، ذلك لا ن الشي الذى يسمى أسبوعا قد عرف بعد الا سلا م ، وعندما نأتي لأسما الشهور نجد ان الأسما العربية تستعمل في المدن ، أما عند البدو وعند غير المسلمين من الترك فقد كان هناك تقسيم للسنة الى أربعة أقسام لكل لكل منها اسم خاص .

(Divan Tercumesi Besim Atalay, S 347

استطاعت أن تنتزع منهم تلك القدرة ، حتى أن الاتراك – سواء بصورة مقنعة أحيانا ، أو بصورة واضحة – وذلك بالتزامهم جانب القائد العربى « رافع بن الليث » كانوا قد وقفوا في وجه الخلافة (٤) .

التقارب العربي التركى :

يأخذ التقارب العربي التركى الدى بدأ في عصر الأمويين طريقة الى النمو في العصر العباسى ، فقد حاول العباسيون – الذين دانت لهم الخلافة بمساعدة العناصر الاجنبية – توثيق روابط الصداقة بينهم وبين العناصر الأيرانية والتركية كنتيجة مباشرة لفقد انهم الثقة بالقوة العربية ومن هذه الوجهة فقد شكلوا جيشهم المختار تحت إمرة الضباط الترك القادمين من بلاد قصية ، لأن الشعوب التركية المهاجرة كانت قد تعودت على أن تقدم لجيوشها أخلص الرجال وأقدرهم ، ولهذا السبب فان انتصاراتهم لم تكن في العالم العربي فحسب بل تجاوزته الى مختلف بقاع العالم ، واكتسب الاتراك من هذه الوجهة بين شعوب الارض مكانة ممتازة (٥) .

ولقد اقيمت لهذا الجيش المعسكرات في المراكز الاسلامية الهامة مثل بغداد وسامراء ، وخصصت له المعاشات الوافرة ، وارتفع قدر الجيش التركى بحيث أن الخليفة المعتصم العباسي قد أحل الجيش التركي محل الجيوش المكونة من العناصر العربية والايرانية ، وخاض به حروبا موفقة ضد بيزنطة وايران ومصـر .

كذلك وفق الخليفة المعتصم من انقاذ دولته من كارثة كبرى وذلك بمساعدة القائد التركى « افشين » (٦) .

---

(٤) جعفر أوغلى . ص ٨ .

(٥) جعفر أوغلى . ص ٨

(٦) يقول محمد فريد « كان من أعمال المعتصم فتح عمورية التي كان يقدسها الروم وفي أثنا عودته من عمورية بلغة أن العباس بن المأمون يكيد له وينوى قتله فأمر بسجنه فسجن ومات =

ويقول جورجى زيدان في كتابه « تاريخ التمدن الاسلامى » حول السبب في علو شأن العسكرية التركية » أن الترك أمة قديمة مؤلفة من قبائل وبطون وكانت مواطنهم على جبال الألطاى أو جبال الذهب في أواسط آسيا بين الهند والصين وسيبيريا .

وهم يذهبون في أصل اجتماعهم مثل مذهب الرومانيين في مؤسس دولتهم « روملس » فيعتقدون أن « بورته جينه » أول قوادهم قد رضع من ثدى الذئبة ، فلما شب قادهم في الحروب والغزو بخيامهم وأنعامهم لانهم أهل بادية فحاربوا الأمم المجاورة لهـم وخصوصا سكان الصين وخلف « برتزينا » غير واحد من أبنائه وكانوا قد شاهدوا مدن الصين وعمرانها فأحب بعضهم أن يبنى المدن فمنعه بعض امرائه قائلا « نحن يامولاى أقل من عشر أهل الصين عددا وقوتنا انما هي باطلاق حريتنا — اذا رأينا في أنفسنا قوة على الحرب هجمنا والا رجعنا الى البادية ، وأهل المدن محبوسون داخل الاسوار كأنهم في قفص » ، فاعجبه رأى الرجل وعدل عن التحضر ، وتلك كانت حال العرب في صدر الاسلام ، فان بداوتهم كانت من أهم أسباب تغلبهم (٧) .

تعاظم دور الاتراك في الدولة الاسلاميـــــة :

بعد ظهور الاسلام وانتشار العرب في أنحاء العالم وطئت حوافر خيولهم بلاد الترك وهم يعبرون عنها بما وراء النهر ففتحوا بخارى وسمرقند وفرغانه وغيرها من تركستان في أيام بنى أمية . ولما تولى العباسيون كانت تلك المدن خاضعة للمسلمين يؤدون عنها الجزية والخراج وكانوا يحملون في جملة الجزية

=بعد قليل ، وقيل أن الموكل بحراسته منع عنه الماء حتى مات ، وأرسل المعتصم احد قواد جيوشه واسمه الا فشين لمحاربة « بابك » المجوسى الذى استولى على جبال طبرستان مده عشرين سنة تقريبا فحاربه وقبض عليه وأحضره أمام المعتصم فقتله ، وفي سنة ٢٢٦ غضب المعتصم على الا فشين فقتله » .

(محمد فريد . تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٧) .

(٧) جورجي زيدان . تاريخ التمدن الا سلا مي ، جز ٤ ، ص ١٦٦ .

أولادا من أهل بادية تركستان يبيعونهم بيع الرقيق ، فضلا عمن كان يقع منهم في أيدى المسلمين في أثناء الحروب بالاسر أو السبي ويعبرون عنهم بالمماليك ويفرقونهم في بلاط الخلفاء والامراء ، فأخذوا يدينون بالاسلام مثل سواهم من الامم التي خضعت للعرب في ذلك العهد ومنهم العبيد والموالى ، هذا وكان الاتراك يومئذ يمتازون عن سائر الشعوب التي دانت للمسلمين بقوة البدن والشجاعة والمهارة في رمى النشاب والصبر على الاسفار الشاقة فوق ظهور الخيل والثبات في ساحة الوغى ، ويعرف الاتراك في تاريخ الاسلام بأسماء كثيرة تختلف بأختلاف اصولهم وفروعهم ، وقبائلهم كثيرة مثل قبائل العرب (٨) .

وكان أول من استخدم الاتراك في الجندية من الخلفاء المنصور العباسى ، ولكنهم كانوا قلة لاشأن لها في الدولة ، وكان الشأن الاكبر للخراسانيين « الفرس » والعرب ، ولما اشتد التنافس بين العرب والفرس في أيام الرشيد وذهبت سطوة العرب بذهاب دولة الأمين ، وتسلط الفرس أنصار المأمون وأخواله في الدولة ، وكانت الحضارة قد أضرت بالمسلمين وأذهبت منهم قوة التغلب والفتح . ففكر المعتصم أخو المأمون في ذلك قبل أن تنتهى اليه الخلافة ، وكانت أمه تركية وفيه كثير من طبائع الاتراك مع الميل اليهم لانهم أخواله ، فرأى أن يتقوى بالاتراك وهم حينذاك أهل بداوة وبطش ، فجعل يتخير منهم الاشداء يبتاعهم بالمال من مواليهم في العراق أو يبعث في طلبهم من تركستان وغيرها ، فاجتمع عنده عدة آلاف فاعتنى بهم وخصهم بميزات لم تكن لغيرهم .

فلما أفضت الخلافة اليه كان الاتراك عونا له وتكاثروا حتى ضاقت بغداد بهم وصاروا يؤذون العوام ، فما كان من المعتصم الا أن سار يلتمس معسكرا لأجناده حتى أتى سامرا فاتخذها معسكرا فاعجبته وسماها « سرمن رأى » وارتفع فيها العمران وشيدت القصور وتسامع الناس أن دارا للملك قد انتقلت الى هناك فقصدوها ، ومازالت سامرا قاعدة للدولة العباسة من سنة ٢٢١ هـ الى

---

(٨) المصدر السابق ص ١٦٦ – ١٦٧ .

ايام المعتمد فعاد الى بغداد سنة ٢٧٩ وهو اول من عادا اليها منذ بنيت سامرا (٩) وقيل في ذكر سامراء ان المعتصم خرج الى سامرا لبنائها ، وكان سبب ذلك انه قال « اننى اتخوف هؤلاء الحربية أن يصيحوا صيحة فيقتلوا غلمانى ، فأريد أن أكون فوقهم ، فأن رابنى منهم شيء اتيتهم في البر والماء ، حتى آتى عليهم ، فخرج اليها فاعجبه مكانها (١٠) .

هذا وكان اكثر الاتراك لما جمعهم المعتصم اليه يدينون بالمجوسية أو الوثنية على ماكانوا عليه في بلادهم وفيهم جماعة قد ادخلوا في الاسلام اما غير المسلمين فلما صاروا من جند الخليفة وتربوا في ظل المسلمين اسلموا وفيهم من اظهر ذلك تزلفا من الخلفاء كالافشين ، وكان مجوسيا وأظهر الاسلام طمعا بالكسب في الغنائم بالحروب (١١) .

وعندما تقدم الاتراك في الدولة العباسية وعلم اخوانهم في بلادهم بذلك تقاطروا مئات والوفا يطلبون الارتزاق بالجندية ورغبوا في الاسلام وجعلوا يدخلون فيه الالوف . فقد اسلم منهم سنة ٣٥٠ هـ مائتي ألف « خركاه » دفعة واحدة ، والخركا ، (الخيمة) الواحدة لايقل عددها عن خمسة انفس (١٢) ، فعدد الذين اسلموا في هذه الدفعة نحو مليون نفس ، ثم اسلم مايقرب من نصف مليون تركى من اهل خراسان سنة ٤٣٥ .

وكان الجند الاتراك يومئذ اشبه شيء بالفرق التي كانت عند الرومان ويسمونها « Proetorian » أو هم مثل « الباشبوزق » في الدولة العثمانية يستخدمهم من شاء بالمال ، فكل من وصلت يده الى السلطة اقتنى الغلمان الاتراك اما بالشراء او بالاجره وتألفت منهم الفرق بنوالى الاعوام وكثيرا ماكانت

---

(٩) المصدر السابق ص ١٨٦ – ١٨٩ .

(١٠) ابن الاثير . الكامل هي التاريخ ، المجلد السادس ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٤٥١ .

(١١) جورجى زيدان ، الجزء الرابع . ص ١٦٩ .

(١٢) المصدر السابق ص ١٧١ .

الحروب تنشب بين هذه الفرق تنازعا على النفوذ او على الاموال ، ولما استولى الديلم على بغداد في ايام بنى بويه توالت الحروب بين الترك والديلم وغلمان الخلفاء أو الموالى . وما من دولة قامت في ذلك العصر الا استخدمت الاتراك في جندها سواء كانت شيعية أو سنية (١٣) .

وهكذا كان دور الترك في الدولة الاسلامية من الناحية السياسية وتأثيرهم فيها ، ومنذ قبل الترك الاسلام فقد بدأت الحضارة والثقافة الاسلاميتين تمارسان تأثيرا بالغا على فكر الترك وأدبهـم .

الأدب التركي في آسيا الوسطى « بعد الاسلام » .

بدأت منذ بداية القرن الحادى عشر الميلادى – تظهر تغييرات كثيرة وليدة التأثير الاسلامي ، هذا ولم تدرس تلك التغييرات بصورة كافية والتي بدأت تظهر تدريجيا ابتداء من القرن الثامن . وفي أن التغيير الأول في هذا الادب هو أنه أدب تركى إسلامى بسيط أخذ صبغة جديدة مع عدم دخوله في تفريعات كثيرة .

وأهم مظاهر التغيير في هذا الأدب هو التوفيق بين الأساطير والحكايات الشعبية التي هي أهم مايميز الأدب التركى حينذاك وبين الأسس العامة للدين الأسلامي الجديد ، وغلبة طابع الأيمان على الآثار الجديدة مع احتوائها على الأسماء والمفاهيم التي أتى الأسلام وكذلك الاستخدام المحدودة للكلمات العربية والفارسية .

ومع هذا فإن الأدب التركى القديم ظل في تطوره محافظا – وبدرجة كبيرة على الشخصية التركية سواء كان ذلك في الموضوع أو في الشكل وفي اللغة والروح معـا .

---

(١٣) المصدر السابق ص ١٧١ .

ولقد فقدت معظم آثار هذا الأدب والتي لابد أنها كثيرة والتي كانت تحوى بين ماتحوى أشعاراً من ذلك النمط المعروف بشعر الســـاز (١٤)

هذا ويمكن ان تعد بعض المقطوعات التي حواها « ديوان لغات الترك » (١٥) بين النماذج الاولى لشعر الاتراك المسلمين والتي في ثناياها بعض السمات الاسلامية الباهتة . كما أننا نجد كذلك بضعة أشعار من آثار الأويغور في « طورفان » وهي ذات ملامح أكثر تحديدا ، ومع أن بعض النصوص التي عثر عليها ليست لها أسانيد تاريخية مثبتة ، الا أن بعض الالهيات الشامانية كانت لاتزال تعيش بين أتراك الآلطاى حتى وقت قريب .

وكذلك اسطورة « ماناس » فقد كانت موجودة بين « القيرغيز » وطرأ عليها التعديل والتبديل فيما بعد ، وكذلك كانت توجد اسطورة « أليامش » والتي وجدت على صورة متعددة بين مختلف الشعوب التركية وكانت منتشرة على نطاق واسـع .

أما بعض مقطوعات ديوان لغات الترك التي ترجع كتابتها الى زمان قريب — عد اروح اسلامية ضعيفة — فليس بها شيء آخر .

أما الروح الاسلامية الحقيقية فتبدأ بأشعار « طورقان » .

---

(١٤) شعر الساز نمط من أنماط الشعر الشعبي . والساز مشابه للعود ذو جوق مقعر . من ناحية جوفه ومصنوع من الخشب فقط ، وله ذراع طويل يقارب المتر وعليه أقسام النوطات الموسيقية ، يضرب بالمضرب على أوتاره والتي تتكون من ٣ — ٤ أو تاد من السلك الرفيع تتعتبر فيما بينها في السمك في موضع البطن (القسم المقعر) وتتحرك أصابع اليد الا خرى الأخرى على دراعه الطويل ليعطى النغمات المطلوبة .

Turk Musikisi Ansiklopedisi yilmaz oztuna, Milli Egitim Basimeri, cilt 2, s 209 ist, 1974

(١٥) مؤلفه هو « محمود القاشغرى » ومن المحتمل أن يكون قد كتبه في الفترة سين (١٠٦٩ — ١٠٧٤) بعد قرن ونصف من قبول الا تراك — كدولة — الدين الا سلا مي ، وليس معروفا على وجه التحديد تاريخ مقدمة الى بغداد التي كانت مركزا في العالم الا سلا مي حينذاك ، في مراكز الثقافة الا سلا مية لمدة طويلة . ولقد تواجد القاشغرى في « قاشغر » في تركستان في حرب كبيرة دارت رحاها بين الترك المسلمين واتراك الياقو والباصمل المشركين سنة ١٠٤١ وقد عاصر الكاتب هذه الحروب ووصفها وصف من شاهد ورأى .

(Abdulkadir inan Turk kulturu, Sayl, 100, S 45

ونصادف الى جانب ذلك بين الالهيات الشامائية بعض المقطوعات التي توضح بعض المعتقدات الاسلامية في حالة خلط مع مقطوعات أخرى تترنم المشاعر والنعرات القومية ، ولذلك تضم اكثر المعتقدات القومية اغراقا في القدم ، ومنها تلك المقطوعة ذات الصبغة الاسلامية والتي تصور يوم القيامة :

عندما يأتى يوم القيامـــــــــــة
يتحول المشرق الى حديد ويظـــل
وتصبح الارض نحاسا وتظـــــل
ويهجم الملك على الملـــــــــك
ويلين الحجر الصلـــــــــــد
لايعرف الاب ابنـــــــــــه
ولايعرف الابن أبـــــــــاه ، (١٦)

هذا ولاشك أنه من السهل على أى قارىء أن يرى الروح الاسلامية واضحة في هذا النص فيوم القيامة كما صوره القرآن الكريم يوم لايعرف الابن فيه أباه ولايعرب الاب ابنـه .

كما نجد الى جانب تلك الابيات « اسطورة بامسى بيرك » أو « ألب بامسى » أو « البامشى » وهو البطل التركى القديم التي هي أثر تركى خالص من حيث روحه وموضوعه ، وهى حليط من الشعر والنثر ، نجد أن هذا البطل أخذ أوصاف الشخصيات الاسلامية الخارقة ، فهو لكونه محميا ظهره من قبل أبى الرجال

---

(١٦) قيامت جاغى كله نـــــــــــده
طاكايرى دمير اولوب قالـــــــير
ير باقير اولوب قاليـــــــــــر
قا كان قا كانه صا لدير يـــــــر
قاطع طاش او يو لـــــــــــور
آتا اوغلونى طانيمـــــــــــاز
أو غول آتاسنى طانيمـــــــــاز

"Koca Turk Edebiyati Tarihi, Ankara, 1964, S 41

« على بن ابى طالب » كرم الله وجهه ، لايصيبه سهم صوب اليه ، ولايحترق بنار سقط فيها ، وفى نفس الوقت نجد أنه هو نفسه البطل الاسلامى « بطال غازى » الذى ورد ذكره في ديوان لغات الترك (١٧) .

هذا ويبدو التأثير الاسلامى أكثر وضوحا في الاعمال الادبية التالية حيث نصادف كلمات عربية وفارسية لم نكن نراها في الآثار السابقة وتوضح هذه الظاهرة بطبيعة الحال مدى ايمان الترك المسلمين بهدف اسلامى مشترك ربط بينهم وبين العرب والأيرانيين اللذين سبقوهم الى الاسلام ، وتوضح كذلك مدى تأثرهم بمظاهر الحياة العامة الذى هو تعبير عن هذا الهدف (١٨) .

وجدير بالذكر هنا أن هذا التأثير لم يقلل من أصالة الادب التركى الذى يحمل السمات القومية باعتباره نتاجا لهذه الحياة القومية في موضوعه وشخصيته ، وفى لغته وشكله معا .

كما يجدر الاشارة كذلك الى أنه كان هناك دائما الادب الشعبى الذى حمل الخصائص القومية وحافظ عليها ، والذى يجب التفريق بينه وبين أدب الديوان الذى اختار لنفسه اسلوب التطور على طريق تقليد الادبين العربى والفارسى .

نشأة أدب الديـــوان :

هذا والى جانب التيار الرئيسى للادب التركى الذى أخذ لونا جديدا بتأثير الاسلام ، ظهر جناح آخر للادب التركى على يد الاتراك الذين اقنوا تعاليم الاسلام وذلك تحت تأثير الفكر والثقافة الاسلاميتين بمعنى أن التيار الاول هو تيار كان التأثير الاسلامى عليه تأثيرا عقائديا خالصا لم يكن للثقافة الفكر تأثير عليه ، أما الجناح الثانى فكان يمثل مرحلة متقدمة ظهر فيها جليا الامتزاج الحضارى والثقافى للفكر الاسلامى متمثلا في اجنحته الثلاثة التي حملته لقرون طويلـــة تالية والمتمثلة في حصارة العرب والفرس والترك معـا .

---

(١٧) المصدر السابق ص ٤٠ – ٤١ .

(١٨) نفس المصدر ص ٤٢ .

وليس معلوما على وجه اليقين بداية ومراحل تطور هذا النجاح الذى عرف بأدب الديوان والذى اقتنع بفكر العرب والفرس وكذلك – بأشكالهم وأوزانهم ، ثم بالكثير من الكلمات العربية والفارسية التي ظل استعمالها محصورا في اللغة والادب العثمانيين دون أن تتسرب الى الادب الشعبى .

غير ان الاثر المنظوم المسمى « قوتادغو بيليكة » والذى يرجع تاريخه بصفة مثبتة الى القرن الحادى عشر وذلك مع تفسيرات وتراجم متعددة للقرآن الكريم مجهولة المؤلف ، تعد أول نتاج للنظم والنثر في الادب التركى الاسلامى ، ثم يلى هذا تاريخيا ذلك النوع الذى اطلق عليه أدب الديوان .

كل تلك الآثار تشكل أقدم النماذج الادبية الاسلامية التي عثر عليها (١٩) .

ترجمات القرآن الكريم :

وتحتل ترجمات القرآن مكانا بارزا بين اول انتاج للنثر التركى الاسلامى وتوجد بعض النماذج من ذلك النتاج الذى كان ظهوره نتيجة ظروف اجتماعية وتاريخية . واحد هذه النماذج التفسير الذى عثر عليه « زكى وليد طوكان » فى تركستان والموجود في مكتبة لينجراد ، ويخمن أنه يرجع الى أواخر القرن العاشر أو أوائل الحادى عشر الميلاديين ، وكذلك توجد ترجمتان اخريان مشابهتان لهذه الترجمة في متحف الآثار والمكتبة القومية باستانبول (٢٠) .

هذا وتوجد الى جانب ذلك تراجم اخرى مشابهة في مكتبات تركيا المختلفة والتي لم تحقق بعد .

كل ذلك يظهر أن هناك أثارا منثورة كتبت بصورة موازية للآثار المنظومة التي يمثلها كتاب « قوتاد غوبيليكة » في آسيا الوسطى في القرن العاشر .

---

(١٩) المصدر السابق ص ٤٧ .

(20) Abdulkadir Erdogan, Kuran Tercumelerinin Dil Baktmindan Degerleri, vakiflar dergisi sayi 1 1938

وثمة مميزات رئيسية عدة للنثر التركى الذى كتبت به هذه الاعمال منها انها ترجمات بأقدم المفردات التركية لمفردات القرآن الكريم ، وأهمية اخرى فرضتها ضرورة الالتزام بالصدق تجاه الجملة القرآنية ، تلك هي تطويع اللغة التركية لقواعد النحو العربى بحيث اصبحت تلك في لغة المدرسة — فيما بعد — بداية لطرز من التعبير تأصل في الاثار الدينية على وجه الخصوص .

نبذة عن الكتاب :

اصبح من الطبيعي — بعد أن انتشر الاسلام بين أتراك آسيا الوسطى في الفترة بين سنتى (٩٢٠ — ٩٤٠) الميلاديتين — أن تختلط بلغه الكتابة والادب التركيين مفردات الثقافة الاسلامية عربية كانت أم فارسية ورغم ان « قوتا دغوبيليك » يعد الاثر الاسلامى الاول في الادب التركى فانه يعد مصدرا هاما من من حيث حفاظه على اللغة التركية والحياة الاجتماعية التركية القديمة .

كتب « « قوتادغوبيليك » في المرة الاولى بالابجدية الاويغورية وكانت الابجدية الرسمية السائدة ة في بلاد القرخانيين ، كما كانت كذلك مستعملة في في كتابات الشعب ، كما كانت اللغة تركية خالصة . ولقد أتم يوسف خاص حاجب كتابه منظومته في فترة زمنية استغرقت ثمانية عشر شهرا . ولقد ثبت هو تاريخ الانتهاء في ختام منظومته حيث يقول .

لقد كتبت هذا الاثر واكملتـــــه
سنة اثنتين وستين وأربع مائـــــه (٢١)

ولكون هذا الاثر اول تركى اسلامى فان يوسف يضيف بأن الكتب التازية (أى العربية) والتاجيكية (أى الفارسية) كثيرة ، أما هذا الكتاب فهو أول كتاب باللغة التركية ، وهو يشكو في هذا المجال من نقص اللغة التركية وعدم كفايتها .

---

(21) Yil altmis iki erdi tort guz bile Bitiyupt tuketdim bu soz ologore
(M Sakir Ulkutasir, yusuf Has Hacib ve kutadgu bilig uzerine kucuk bir arastirma, Turk kulturu dergisi, sayi, 98 S 23-24)

لقد قسم المؤلف كتابه الى اثنين وثمانين فصلا صغيرا وهو أهم مصدر يعرفنا بتشكيلات دولة القراخانيين التي ظهرت على مسرح التاريخ بين سنتى (٩٣٢ – ١٢١٢) ، وهى دولة تركية اسلامية ، كما يوضح لنا مستواها الاجتماعى والثقافى ، ولابد لنا أن نسجل هنا أن هذا الاثر – فى نفس الوقت – يتحدث عن تشكيلات الدولة التركية القديمة قبل الاسلام كما يعكس لنا ثقافتها وكل تراثها (٢٢) .

ادارة الدولة ونظامهـــا :

كما يذكر في « قوتا دغوبيليكـ » دستور ادارة الدولة والاوصاف التي ينبغى أن تتوفر في كل من الوزير والقائد « سوباشى » وهى احدى الرتب العسكرية » والسفير وغيرهم .

هذا وتشكل الخصال الانسانية مثل الشجاعة والشرف والصداقة والرضا بالقضاء والقدر والمرؤة والتواضع واحترام الكبار أهم القواعد والاسس الاخلاقية . وفى هذا الصدد يذكر الكتاب كيفية تحرك الذين يشغلون وظائف تمس الشعب كانوا حكاما ام وزراء أو موظفين حتى تنجو الدولة من المهالك .

أما عناوين رجال الدولة والقابهم عدا الحاجب والوزير فكانت كلها تركية ، ولانصادف في الكتاب ألقاب مثل سلطان ، ملك ، أمير ، سبهسالر ، خزينة (كاتب – مستشار) ، شهنة – مستوفا (مالية جى) والتي شاعت في الدول الاسلامية في فترات لاحقة ، وتذكر في الكتاب بدلا من هذه الكلمات المصطلحات التركية الأصل « ايليكـ ، بكـ ، بكلربكى ، صوباشى ، بيتيكجى ، ايليمكا (نشانجى ، منشى) ، يالواج (ايلجى) ، آغيجى (خزينة دار) ، طابو قجى ، جا غربكه ، ايلبكى » .

هذا ويقسم الكتاب الشعب الى قسمين هما : « قره بودون » و « آق بودون » ومما يجدر ملاحظته أن هذا التقسيم كان موجودا عند أتراك القيرغير إلى أزمنة

---

(٢٢) المصدر السابق ص ٢٤ .

قريبة فالقره بودون هم الشعب ويضم « صاتيقجى » أى التجار والبائعين و « وهم الزراع ، « ايكديشجى » وهم مربى الحيوانات .

أما « الاق بودون » فهم الطبقات العليا وتضم السيد « علوى » و« بيلدوزجيلر» اى العارفين بعلم النجوم والفلك ، ويعد هذا التقسيم أقدم تقسيم اجتماعى تركى (٢٣) .

النسخ الموجوده من الكتـــاب :

توجد اليوم ثلاث نسخ مخطوطة من « قوتا دغوبيليكة » تلك هى نسخ فينا ومصر وفرغانـــه .

وأول النسخ التي عرفت هي نسخة فيينا ، وكتبت هذه النسخة سنة ٨٤٣ هـ (١٤٣٩ – ١٤٤٠) م وذلك في عصر شاهرخ بن أقسان تيمور وكتبت بالحروف الأويغورية وقد عثر على هذه النسخة مؤرخ التاريخ العثمانى المعروف « هممر » « Hammer » وكان مستشارا للسفارة النمساوية في استانبول ، وأهداها إلى مكتبة القصر الأمبراطورى في فينا ، ثم قام المستشرق المجرى « Vambery » ينشر النص وترجمته الألمانية سنة ١٨٧٠ وكذلك فعل السوفيتي « راددلوف » سنة ١٩١٠ حيث نشر صورة هذه النسخة وترجمتها الألمانية ومعها كتابه بالحروف الروسية آفادر ادلوف في نشره لهذه النسخة من النسخة المصريه .

ويفهم من الحاشية التالية أن نسخة فينا هذه المكتوبة بالحروف الأويغوريه فى « هرات » وصلت إلى طوقات » ومنها إلى استانبول في زمن السلطان محمد الفاتح (٨٤٣ هـ) (١٤٧٤ – ٧٥) م ، وذلك بعد ستة وثلاثين ستة من كتابتها ، والحاشية على النحو التالي ..

---

(٢٣) المصدر السابق ص ٢٥ .

« قايجده سكز يوز يتمش طوقوز ييلان ييلى ، بوقدتادغو بيكليك كتابنى عبد الرزاق شيخ زاده بخشى ايجون استانبوله طوقا تدن قنارى اوغلى قاضى على كتدير تديكر » ، مبارك يولون ، دولت قيلسون ... »

ثم يضاف هذا الكلام كذلك .. « خير الدين جمعه مسجدنده أوطوران بزحاجى دلال ، بوكتابى نالبند حمزه دن صاتدن آلدق »

ويتضح من تلك الأضافة أن النسخة تم شراؤها في مزاد علني والحاشية السابقة لتلك الاضافة تعرف كيفية وصولها من طوقات الى استانبول مع تحديد التاريخ وهو سنة ٨٧٩ هـ .

ولقد نشرت نسخة فيينا من قبل مجمع اللغة التركية (T.D.K) كما هى وبيانات الطبعة على النحو التالى :

(Istanbul 1942. Alaatin kiral basimevi, 144 t200 s.)

النسخة الثانيـــة :

أما النسخة الثانية فهى موجودة في مكتبة الخديوى في القاهرة ، وقد كتبت بالحروف العربية ، وقد نشرت هذه النسخة المخطوطة كذلك كما هى من قبل مجمع اللغة التركية وبيانات نشرها هى :

(Istanbul 1943, Alaattin klral basimevi, 14-392.s)

النسخة الثالثـــة :

أما النسخة الثالثة فتوجد في طشقند بتركستان وكتبت من قبل شخص يدعى « قراط » ، وتعد هذه النسخة المخطوطة اهم النسخ الموجوده من هذا الكتاب ، ولقد عرف العالم التركى المرحوم « رشيد رحمتى آرات – الاوساط العلمية بهذه النسخة بمقال كتبه باللغة الالمانية ، ثم نشرها كما هى كذلك مجمع اللغة التركية وبياناتها على هذا النحو :

(Istanbul 1943, Alaattin kiral basimevl, 24 447 S)

أما عن آخر مانشر حول هذا الكتاب الهام ، الذى يعتبر أول أثر تركى اسلامى هو ماقام به رشيد رحمتى آرات حيث نشر النص الكامل ومعه ترجمة بتركية تركيا « تركية تركجه سى » أو التركية الغربية .

اما النص فقد قسمه إلى قسمين ، أولهما بحث جاد حول يوسف خاص حاجب وقوتادغوبيليك تحت عنوان — مقدمة — مدخل — أما القسم الثانى فيحتوى على النص الاصلى للكتاب ، ويشغل هذا القسم من الكتاب الصفحات من ١ — ٦٥٤ وقد نشر هذا النص مجمع اللغة التركية في طبعة جميلة وبياناتها :

Istanbul, 1947, Milli egitim baslmevi.)

أما ترجمة المنظومة التركية الغربية فقد نشرها مجمع التاريخ التركى « تورك تاريخ قورومى » وبياناتها :

(yusuf Has Hacib, Kutadgu bilig ll, Tercume eden: Resit Rahmeti Arat, Ankara, 1959, Turk tarih kuru basimevi, xxvlll 4 s.)

المؤلف ومضمون المنظومـــــة :

تعد منظومة قوتا دغوبيليك أى « العلم المانح للسعادة » والتي نظمها يوسف خاص حاجب (٢٦) أول اثر اسلامى كبير بالمعنى الادبى الواسع .

وقد نظم هذا العمل في كتاب ضخم على شكل المثنوى المعروف وبوزن (فعولن فعولن فعولن فعول) وتقع المنظومة في حوالي ٦٦٤٥ بيتا من الشعر .

والمنظومة من حيث الشكل فان القسم الاكبر منها قصة تمثيلية وهي قصة حاكم عرف بعلمه وعدله وسعة تجربته يسمى « كون طوغدى » ويسمع بمزايا وفضائله عن بعد رجل عالم وفاضل يدعى « آى طولدى » .

---

(٢٥) المصدر السابق ص ٢٥ — ٢٦ .

(٢٦) يوسف خاص حاجب شاعر بلا ساجونى عاش في القرن الحادى عشر ولقد اصبح رجل دوله فيما بعد وشغل موقعا هاما ، ومع هذا فليس لدينا الكثير من المعلومات عن حياته .
كتب يوسف خاص منظومته تلك بأكمل لغات عصره وهي التركية الشرقية (الخاقانية) =

يذهب ذلك العالم الجليل الى الحاكم حيث يرى الامكان له في أرضه فهو غير قادر على أن يفيد بعلمه وفضله في تلك الارض وبعد ان التقى بذلك الحاكم وتعرف الحاكم على مزاياه وفضائله اتخذه وزيرا له، وبمرور الزمن يستفيد الحاكم كثيرا منه ويحبه اكثر ، ولكنه يحس بالالم عندما يفكر فيمن يخلفه عندما يفقده ، ويفكر العالم الجليل في ذلك أيضا ، فيذهب ويحضر ابنه الذى رباه بنفسه ويقده للحاكم بل ويترك مكانه له ويسمى « اوغدولش » ولقد احب الحاكم الابن مثلما احب الاب من قبل ويستفيد من علمه ومن سمو فكره ماوجد الى ذلك سبيلا ولكن الهم لايلبث ان يستبد به ثانية فهو دائم التفكير كذلك فيمن يمكنه ان يخلف اوغدولمش عندما يفقده ، ، ويعرض عليه ان يساعده في اختيار خلف له يثق في علمه وقدرته ، فيدله على صديق له يدعى اودكورمش فيستدعيه الحاكم ، الا ان هذا الاخير كان قد وهب نفسه لله وللعبادة ونفض يديه من تراب هذه الدنيا الا ان الحاكم ارسل له ثانية عن طريق صديقـــه « اوغدولمش » وفي النهايه يستجيب العالم الزاهد ويأتى — ولكنه يرفض أن يكون مساعدا للحاكم فهو قد وهب نفسه لله رافضا هذه الدنيا الفانية بشرورها ومظالمها ويموت العالم الجليل بعد ان اعطى للحاكم وصديقه معا دروسا وعظات في كيفية اقامة العدل بين الناس وعدم ارتكاب مايغضب الله ويحزن الحاكم والصديق حزنا بالغا لوفاة هذا العالم الزاهـد (٢٧) .

=ولقد بدأ نظم اثره هذا في بلاسا جون سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٩) م وانهاه في قاشغر سنة سنة ٤٦٢ هـ (١٠٧٠) م وعندما اكمل يوسف اثره هذا قدمه الى الحاكم القراخانى « طافجاج بغراخون » ابو علي حسن ، ولاعجاب الحاكم القراخانى بهذا الاثر عين صاحبه حاجبا خاصا . وبهذا اصبح رجل دولة هام في بلاط القراخاني . وكان يوسف على علم ودراية بتشكلات الدولة التركية القديمة قبل الاسلام وكان علمه غزيرا بتراث الترك وناريخهم كما يتقل في اثره هذا حكما لها مدلولات سياسيه واجتماعية لرجالات الدولة في امبراطورية الكوكتوك التي ازدهرت وانتهت قبل اربعة قرون من زمانه ، وهو كذلك على مايبدو في اثره ملما بالعلوم الاسلامية والادب الفارسى .

(المصدر السابق ص ٢٤) .

(المصدر السابق ص ٤٩) .

(27) Resid Rahmeti Arat Kutadgu Bilig, onsoz ve bugunku Turk harfleriyleметin, T D K, Ist, 1947

ونرى فيما بعد ان « اوغدولمش » دائم التفكير في عذاب الله ازاء ماارتكبه من معاص ، ودائم النصح للحاكم حتى لايقع في معصية كسبا لرضا اللـــه واتقاء لغضبـــه .

وتشكل هذه القضية الموضوع الرئيسى لهذا العمل الاخلاقى التعليمى .

لقد اصبح كتاب قوتا دغوبيليك لما يحويه من حكم وقصص في كيفية اقامة العدل وارساء اسس الدولة على اساسة بشكل تراثا هاما في الآداب الأسلامية فهو كتاب تعليمى تربوى أخلاقى وسياسى في نفس الوقت .

يبدأ الكتاب بثنتى عشر منظومة على صورة مدخل هي عبارة عن توحيـــد ونعت ومديح للخلفاء الاربعة ثم قصيدة موجهة الى الحاكم .

كما يحدث كذلك في امور الكائنات وقيمة العلم والخلق الطيب فالفكر الذى تمثله هذه الكلمات اخذ مكانه في الادبيين العربى والفارسى والمتمثلة في التعبير عن قدرة الله الذي خلق الكائنات ثم زينها في احسن صوره (وخلقنا الانسان في احسن تقويم) ، ولابد ان يتذكر الانسان نعم الله التي لاتحصى عليه فهو الذى شرفه ومنحه اللسان وخصه به مفضلا اياه على سائر الكائنات .

والمؤلف التركى لايتحدث هنا عن رب السماء ولاعن مياه الارض كما هي الديانات التركية القديمة وانما يتحدث عن الله العظيم الواحد كما هو فـــي الاسلام .

بدأت الكلام باسم اللـــــــــــه
فهو ربى المحى والمميـت وهو المربـــى
فله مع كل المديح ألف ثنـــــاء
لا له قادر ليس لـه فنـــــــاء (٢٨)

---

(28) Allah adi ile soze basladim, Tureten, egiten, gocuren Rabbim, Butun ovgu ile bunca bin sena, Kaadir bir Allha, ona yok Rena, (Koca Turk, S 48)

والمؤلف يصور الربيع في المصاريع التالية ويتضح لنا كيف جعل الشاعر من شعر الساز شعرا ديوانيا يحمل كل خصائص ادب – الديوان الاسلامى ، كل هذا دون ان يفقد الادب التركى كما هو في هذه – المنظومة شخصيته القومية القديمـــة .

ذهب الكافور ، ملا الارض السوداء العنـــــــبر
الدنيا تبغى تنظيم حسنهـــا للتزيـــــــــــن
لقد دفع نسيم الصيف بالشتاء القـــــــــاسى
ووضع الصيف الزاهى برج السعادة ثانيـــــــــة
وزينت الخضرة الاشجـار الي جفـــــــــــت
وتزينت الزهره بما زهى من الالـــــــــوان (٢٩) .

والمصاريع التالية التي ينظمها الشاعر في مدح الحاكم اخذت شكل كليشيه استعمله كل ادباء الديوان فيما بعد ، كما تتضح فيها الروح الاسلامية

بغراخان يامن حكـم الدنيـــــــا
فليعزه اللـه في العالميـــــــــــــن
أيا عزة الدين وياعضد الدولـــــة
ياتاج الامة وياديـن الشريعـــــة (٣٠)

---

(29) yagiz yer amber doldu kafur gidip, Bezebmek diler dunya guzelligini duzeltip Kasvetli kisi surdu yaz ruzgarj, parlak yaz gene kurdu devlet yayini, kurumus agaclar dknandi yesil, Bezendi Cicek, al, sari, gok, kisil,

(30) Dunyayi tuttu ulu Bugrahan, Tanri opu iki cihanda aziz etsin, Ey dinin izzeti, devlete yardimcisi, Ey millete tac, Ey seriate din